

الصليبُ وقوّة الله للخلاص

(Arabic – The Cross is the power of God for Salvation)

أحبائي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: الصليبُ وقوّة الله للخلاص

ومن رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس نقرأ العدد الثامن عشر من الأصحاح الأول:

"فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوّة الله".^١

إن الكتاب المقدس من تكوينه إلى رؤياه هو كلام الله. والله عز وجل صادق في أقواله وفي عهوده. ومن يصدق بعض المكتوب ولا يصدق أو يشك في بعضه الآخر يعرض نفسه لوأحدة من مشكلتين:

[١] اعتبار أن الكتاب المقدس ليس كله وحياً إلهياً.

[٢] تكذيب الأنبياء والرسل الذين أوحى إليهم كتابة أسفار الكتاب المقدس أو الشك في أمانتهم.

وإن حكماً بهذا أو ذلك وصنعنا أنفسنا في مقام أعلى من مصاف الأنبياء والرسل. وبذلك نسيء إلى الله جل جلاله بأنه اختار من لا يصلح. وذلك ادعاءً حكماً علينا. واستغفر الله من ادعاء معرفة تفوق الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله العزيز الحكيم. والواقع أن هذه الحكمة البشرية. هي جهالة في نظر الله.^٢

لا ريب أن محور أقوال الله في كتابه المقدس هو صليب السيد المسيح. فمن اعترض على ما جاء بالكتاب عن صليب المسيح ولم يقبله. وضع نفسه بنفسه في مصاف الهالكين. لأن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة. ولقد كتب بعض الناس كتباً قالوا فيها أن المسيح لم يصلب ولكن شبه لهم. وللأسف صدق بعض آخر هذه الادعاءات. وحجتهم في ذلك أن الله لا يسمح لمن أرسله لهداية الناس أن يصلب على خشبة. لأن الله كفى بحمايته من أن تتناول أيدي البشر بأذى إلى أن يموت موتاً طبيعياً. ولقد فات هؤلاء ثلاثة أمور هامة:^٣

أولاً: بدون سفك دم لا تحصل مغفرة.. وهذا الأمر يجهله من يكرهون الصليب. إن الله من صفاته أنه رحمن رحيم وقُدوس وعادل. وقد استهتت تعارض مع الخطية ولا تتفق مع الإثم. كما أن الله عادل وعده يستوجب إدانة الخطية أولاً وبذلك نال رحمته. فلا غفران دون إدانة للخطية. فعذالة الله تتمشى مع قداسة الله التي تتنافى وترك الخطية دون عقاب. وتلك المشكلة كان حلها كاملاً على الصليب. فعلى خشبة الصليب سمر يسوع المسيح البار الذي أَرْضَى الأب السماوي ببره. لقد حمل يسوع المسيح ابن الله خطايا البشرية على الصليب. ولأنه ابن الله غير المحدود استطاع أن يقدم نفسه فدية عن كثيرين. بمعنى أنه كان قادراً على خلاص عدد غير محدود. إذ مكتوب: "لأنه فيه سر أن يحل كل الملاء وأن يصلح به الكل لنفسه عاملاً صلح بدم صليبه. إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة. وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوّة الله". انقذتنا من الموت الأبدى وهبتنا حياة الأبدية.^٤

منذ سنوات سمعت قصة مؤثرة عن شاب أراد إظهار مشاعر المحبة لإحدى قريباته. لقد فقدت زوجها الذي ترك لها ابنتهما الصغير. عرض الشاب عليها أن يأخذ الصبي معه إلى الإسكندرية ليستمتع بالمصيف. وأكد للأب أنه سيوليه كل رعايته هناك. نزل الصبي يوماً إلى البحر وكانت أمواجه صاخبة. كاد الصبي يغرق فأسرع الشاب إليه لإنقاذه. لم يكن سباحاً ماهراً وكانت الأمواج عيفة فغرقا معاً. إن عجزنا البشري يجرمنا أحياناً من الوفاء بوعدنا لمن نحب. عجز الشاب دون الوفاء بوعدوه. ما استطاع أن ينفذ من أحبه بل لم يستطع إنقاذ نفسه.^٥

^١ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١: ١٨ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١: ٢٥ ، ٢: ١٤

^٣ رسالة بطرس الرسول الثانية ١: ٢٠ - ٢١

^٤ الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٢ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسى ١: ١٩ - ٢٠

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٧: ١٨ - ٢٤

يُخْطِئُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ بِأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ يَخْلصُ نَفْسَهُ مِنْ وَزْرِ خَطَايَاهُ. وَيُخْطِئُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ. فَلَيْسَ مِنْ وَسِيلَةٍ مُقَدَّمَةٍ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ لِلخَلَاصِ غَيْرُ ابْنِ اللَّهِ الوَحِيدِ الَّذِي سَفَكَ دَمَهُ الطَّاهِرَ مِنْ أَجْلِنا بِدَافِعِ مَحَبَّتِهِ. وَلَيْسَ مِنْ وَسِيلَةٍ يَقْبَلُهَا اللَّهُ بِهَا نَخْلصُ إِلَّا أَنْ نَقْبَلَ تَدْبِيرَهُ. لَقَدْ تَحَمَّلَ ابْنُ اللَّهِ قِصَاصَ خَطَايَانَا لِإِرْضَاءِ عَدْلِ اللَّهِ القُدُّوسِ. مَكْتُوبٌ "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الخَلَاصُ. لِأَنَّ لَيْسَ اسْمٌ آخَرَ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلصُ". إِنَّ الصَّلِيبَ فَخْرٌ لِكُلِّ مَنْ تَمَتَّعَ بِخَلَاصِ اللَّهِ. يَقُولُ بُولْسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي غَلَاطِيَّةٍ: "أَمَّا أَنَا فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ الَّذِي بِهِ قَدْ صُيِّبَ العَالَمُ لِي وَأَنَا لِلعَالَمِ".^١

ثانياً: إِنَّ يَسُوعَ المَسِيحَ قَدْ جَاءَ لِذَلِكَ الغَرَضِ وَهُوَ فِدَاءُ البَشَرِيَّةِ.. لَقَدْ تَجَسَّدَ ابْنُ اللَّهِ لِیُصَلِّبَ وَذَلِكَ مَا أَعْلَنَهُ لِتَلَامِيذِهِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ وَيَذْكَرُ مَرْقِسُ الرَّسُولُ فِي إنجِيلِهِ الأَصْحَاحِ الثَّامِنِ ابْتِدَاءً يُعَلِّمُهُمْ قَائِلاً: "أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً وَيُفْرَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَيَقْتَلَ وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ وَقَالَ القَوْلُ عِلَانِيَةً. فَأَخَذَهُ پطرسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهَرُهُ. فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَأَبْصَرَ تَلَامِيذَهُ فَانْتَهَرَ پطرسُ قَائِلاً: اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ. لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ". لَقَدْ كَانَ الصَّلِيبُ هُوَ تَدْبِيرُ اللَّهِ مِنْذُ الأَزَلِّ لِتَمَجِّدِ اللَّهِ بِخَلَاصِ الخَطَاةِ وَإِعْدَادِهِمْ لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ فِي المَلَكُوتِ الأَبَدِيِّ.. لَقَدْ انْتَهَرَ الرَّبُّ پطرسُ وَلامَهُ. لَمْ يَكُنْ قَدْ اسْتَوْعَبَ پطرسُ بَعْدَ كَلِمَاتِ يُوْحَنَّا المَعْمَدَانِ عَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ: أَنَّهُ "حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ العَالَمِ". وَأَنَّهُ جَاءَ لِیَنْقِذَ البَشَرِيَّةَ مِنَ الوَقَائِدِ الأَبَدِيَّةِ المُعَدَّةِ لِإِبْلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ. قَالَ بُولْسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ لِمُؤْمِنِي رُومِيَّةٍ: "وَلَكِنْ اللَّهُ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا. لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدَ خَطَاةٍ مَاتَ المَسِيحُ لِأَجْلِنَا".^٢

لَقَدْ أَوْعَرَ الشَّيْطَانُ لِپطرسَ أَنْ يُحَاوَلَ إِيْقَافَ الرَّبِّ عَنِ إِيْتِمَامِ المَشُورَةِ وَالتَّدْبِيرِ الأَزَلِيِّ. كَانَ فِكْرًا شَيْطَانِيًّا لِذَلِكَ رَفْضُهُ السَّيِّدِ المَسِيحِ مُنْتَهَرًا پطرسُ. وَحَدَّثَ كَذَلِكَ أَنَّهُ عِنْدَمَا جَاءُوا لِلقَبْضِ عَلَى السَّيِّدِ المَسِيحِ لِتَقْدِيمِهِ لِلْمُحَاكَمَةِ أَنَّ پطرسُ اسْتَلَّ سِيفَهُ وَضَرَبَ عَيْدَ رَئِيسِ الكَهَنَةِ فَقَطَعَ أذَنَّهُ. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "رُدِّ سِيفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. ثُمَّ قَالَ: أَتَظُنُّ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أُطَلَبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ المَلَائِكَةِ؟! فَكَيْفَ تَكْمَلُ الكَتِّبُ أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟". مَا كَانَ ابْنُ اللَّهِ الَّذِي جَاءَ مُتَجَسِّدًا لِخَلَاصِنَا وَتَحْرِيرِنَا عَاجِزًا عَنِ خَلَاصِ نَفْسِهِ إِذَا شَاءَ إِنَّ لَمْ يَكُنْ الصَّلِيبُ هُوَ إِرَادَةُ الأبِّ السَّمَاوِيِّ وَكَانَ مُدْبِرًا مِنْذُ الأَزَلِّ. يُسَجَّلُ مَتَى البَشِيرِ فِي إنجِيلِهِ أَنَّهُ عِنْدَ مُحَاكَمَةِ السَّيِّدِ المَسِيحِ قَالَ لَهُ رَئِيسُ الكَهَنَةِ: "اسْتَحْلِفْكَ بِاللَّهِ الحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟. فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ قُلْتَ. وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ مِنَ الآنَ تَبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنِ يَمِينِ القُوَّةِ. وَأَتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ".^٣

ثالثاً: الصَّلِيبُ أَعْظَمُ تَرْجِمَةٍ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ العُظْمَى لَنَا نَحْنُ البَشَرِ.. إِنَّ أَعْظَمَ بُرْهَانٍ لِأَعْظَمِ مَحَبَّةِ هُوَ أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ. لَقَدْ كَتَبَ يُوْحَنَّا البَشِيرُ فِي إنجِيلِهِ تِلْكَ الكَلِمَاتِ: "هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَالَمَ حَتَّى بَدَّلَ ابْنَهُ الوَحِيدَ. لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونَ لَهُ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ". إِنَّ لَمْ يُشِرْ يُوْحَنَّا البَشِيرِ عَنِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلعَالَمِ لِتَسَاعُلِ كُلِّ مَنَّا: مَا الدَّافِعُ لِیَبْدُلَ اللَّهُ الابْنَ الوَحِيدَ وَيَقْدِمَهُ فِدْيَةً عَلَى الصَّلِيبِ؟! وَالأَصْبَحُ عَسِيرًا فَهَمُّ سِرِّ الفِدَاءِ وَالصَّلِيبِ. وَلَكِنْ قَوْلُهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَالَمَ أَغْنَانَا عَنْ كُلِّ سُؤَالٍ. حَقًّا كَانَ الصَّلِيبُ أَبْلَغَ تَعْبِيرٍ عَنِ مَحَبَّةِ اللَّهِ المُتَفَاضِلَةِ لَنَا نَحْنُ الذِّينَ تَمَرَّدْنَا عَلَى خَالِقِنَا وَعَصَيْنَاهُ. مَحَبَّةِ اللَّهِ هِيَ سِرٌّ تَنَازَلُ ابْنُ اللَّهِ الَّذِي "أَخْلَى نَفْسَهُ أَخْذًا صُورَةً عَيْدٍ صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وَجَدَ فِي الهَيْئَةِ كإِنْسَانٍ وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى المَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ".^٤

لِيَتَّكِ أَحْيَى تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ لِمَحَبَّتِكَ العَجِيبَةِ الَّتِي أَحْبَبْتَنِي بِهَا بِأَدْلَا دَمِ الابْنِ الوَحِيدِ مِنْ أَجْلِ خَاطِيئِ نَظِيرِي لِیَكُونَ لِي فَادِيًا وَمُخْلَصًا مِنَ الهَلَاكِ الأَبَدِيِّ. وَلِأَنَّ الحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ مَعَ القُدِّيسِينَ الأَبْرَارِ وَالمَلَائِكَةِ الأَطْهَارِ. أَسْأَلُكَ قُوَّةَ تَعِينِي كَيْ أَحْيَا وَفَقَّ إِرَادَتِكَ وَحَسَبَ مَشِيئَتِكَ وَلِمَجْدِ اسْمِكَ العَظِيمِ.. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ البَارِ مُتَكِلًا عَلَى وَعْدِكَ الصَّادِقِ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَحْيَ القَارِئُ العَزِيزُ.. إِنَّ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل لوقا ١٧: ١٠ ، سفر أعمال الرسل ٤: ١٢ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى غلاطية ٦: ١٤
^٢ إنجيل مرقس ٨: ٣١ - ٣٣ ، إنجيل يوحنا ١: ٢٩ ، إنجيل متى ٢٥: ٤١ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٥: ٨
^٣ إنجيل متى ٢٦: ٤٧ - ٥٤ & ٥٩ - ٦٨
^٤ إنجيل يوحنا ١٣: ١٣ & ٣: ١٦ ، الرسالة إلى العبرانيين ١: ٣ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٢: ٥ - ١١